#السنة_الثالثة
مادة الفلسفة العربية
الدكتورة هيفرو ديركي
الثلاثاء 17 /3/2020
المحاضرة الاولى
المدارس الفلسفية ، نشأتها وتطورها
1- مدرسة الإسكندرية
2- الفكر السرياني
3- النصرانية
4- مدرسة انطاكيه
5- مدرسة الرها ونصيبين
6- مدرسة جنديسابور
7- مدرسة حران
8- الفلسفة عند السريان

المحاضرة من كتاب مادة الفلسفة العربية
((تاريخ الفلسفة العربية ، غسان فنيانس))
من الصفحة 7 حتى صفحة 29

Scanned by CamScanner

منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب

تـــاريخ
الفلسفـة العربّيـة

الطبعـــة الخامســة

الدكتور
غســـان فنيـانس

معة دمشق

1س3

١٤٢٧ـ ١٤٢٨هـ
٢٠٠٥ـ ٢٠٠٦م

Scanned by CamScanner

البحث الأول

المدارس الفلسفية ، نشاتها وتطورها

١ ـ مدرسة الاسكندرية
٢ ـ الفكر السرياني
٣ ـ النصرانيـة
٤ ـ مدرسة انطاكية
٥ ـ مدرسة الرها ونصيبين
٦ ـ مدرسة جنديسابوز
٧ ـ مدرسة حرّان
٨ ـ الفلسفة عند السريان

المراجع والحواشي الخاصة بالمدارس الفلسفية

2س3

Scanned by CamScanner

١ ـ مدرسة الاسكندرية

لقد كانت الاسكندرية ، في القرن الثالث الميلادي ، أكبر مركز فعّال للفكر المسيحي • ومع أن هذه المدينة كانت خاضعة للامبراطوريه الرومانية ، فانها حافظت ، في الوقت نفسه ، على الديانة القديمة للمصريين ، الى درجة أن هيكلهم سيرابيس بقي مسيطرا على المدينة • وهكذا فان العبادات الرومانية أضيفت الى الطقوس الدينية المحلية ، دون أن تؤدي الى ازالتها • وبالاضافة الى ذلك فقد كان في الاسكندرية ، آنذاك ، طائفة يهودية مهمة ، وكان لابد ، لكي يتمكن أبناء هذه الطائفة من قراءة العهد القديم وفهمه ، من ترجمة نصوصه من اللغة العبرية الى اللغة اليونانية • وإن دلّ هذا على شيء فانه يدل على مدى انسجام الشعب اليهودي وتكيفه مع الشعوب المحلية • والى جانب الشعائر الدينية المصرية والرومانية واليهودية ، كانت هناك طائفة مسيحية تمارس طقوسها الخاصة بها • ومع أن أصول هذه الطائفة غير معروفة حتى الآن ، بشكلها الصحيح ، فان المسيحيين الأوَل الذين تركوا مصر،هم من الغنوصيين الذين يهدفون الى ادراك كنه الاسرار الربانية[١] •

وهكذا فان الاسكندرية كانت المركز المناسب لمزج الديانات القديمة والديانات الحديثة بالفلسفة • فبعد أن كانت الاسكندرية مدينة المتحف والمكتبة ، والمدينة التي امتاز أهلها بالنقد وسعة الاطلاع ، أصبحت مجمع المذاهب الفلسفية والطوائف الدينية • وبذا فقد سهل الاتصال والامتزاج والتقى على ضفاف النيل رجال مختلفة آراؤهم ، متباينة مذاهبهم ، تبادلوا فيها الآراء كما كانت تتبادل فيها السلع ، فاتسعت دائرة الفكر وقورن بين الآراء المختلفة • وكان من نتيجة ذلك ظهور روح جديد أسس على مبدأين متناقضين ممتزجين : أحدهما الشك والنقد ، والثاني سرعة التصديق بالاشياء على علاتها[٢] •

Scanned by CamScanner

تقابلت في الاسكندرية آراء الشرقيين والغربيين اليونان ، فامتزجت روح اليونان بروح المشارقة ، فأنتجتا عقائد ونظما دينية متأثرة بتأمل الاولين والهام الآخرين ، بما لليونان من علم وما للمشارقة من أساطير . جاءت الروح اليونانية بما لها من ذكاء ودقة وقدرة على الشرح المبين فاصابتها شرارة من الشرق أشعلتها وأحيتها . كذلك أخرجت الروح الشرقية ، التي من خصائصها الطموح الى ما وراء عالم الشهادة ، نظاما ملتئما ونظريات مرتبة لم تكن لتخرجها لولا مساعدة العلم اليوناني لها ، فانه رتب مأثور الشرقيين وحل من عقدة لسانهم ، فاستخرجوا العقائد الدينية والنظم الفلسفية التي بلغت الذروة من مذاهب الغنوصية والافلاطونية الحديثة ويهودية فيلون . إن الشرقي بما له من ميل الى الغيب وخوارق العادات وما في طبيعته من تصوف وتدين ، واليوناني بما له من فحص دقيق وبحث عميق امتزجا ونتج منهما فكر خاص انتشر في الاسكندرية في القرون الاولى للميلاد . وقد صبغ ذلك الفكر بصبغتين مختلفتين : صبغة الكماليين والصوفيين ، وصبغة أهل البحث العلمي ، لذا امتاز هذا العصر بميل الفلسفة الى الدين وميل الدين الى الفلسفة[٣] .

وفي الحقيقة ، فقد « **اتصل الدين بالفلسفة اتصالا وثيقا كان من نتائجه ظهور عقائد لا هي من الفلسفة المحضة ولا من الدين الخالص** ... وجاء ذلك من عاملين : أحدهما ميل اليهود الى التوفيق بين معتقداتهم الدينية والعلم الغربي الذي كان متأثرا بالعلم اليوناني ؛ وثانيهما أن المفكرين الذين استمدوا آراءهم من الفلسفة اليونانية رأوا أن يوفقوا بين معتقداتهم الفلسفية والقضايا الدينية المحضة التي جاء بها المشارقة ، ومن أي الجهتين نظرنا رأينا أن النتيجة كانت فلسفة دينية لا هي فلسفة محضة ولا هي دين خالص[٤] » .

وصفوة الكلام أن مدينة الاسكندرية عرفت ، فيما عرفت من مدارس ، مدرسة مسيحية حوالي (١٩٠ م .) بدأت هذه المدرسة متواضعة ، فكان الاستاذ يستقبل في منزله كل طارق ، مهما كان دينه ، ويعلّم بدون أجر ، كان يعلّم وحده أو يتخذ له مساعدا يتولى قسما من التعليم . وأغلب الظن أن التعليم كان في بادىء الامر دينيا صرفا . ولكنه ما لبث أن اتسع شيئا فشيئا حتى احتوى

Scanned by CamScanner

الفلسفة والعلوم ، فكان البرنامج يبدأ بعلوم اللغة وينتقل منها الى العلوم الرياضية والطبيعية ، ثم الفلسفة والاخلاق ، وينتهي بشرح الكتب المقدسة . وهكذا فان المدرسة المسيحية ، شأنها في ذلك شأن المدرسة الوثنية والمدرسة اليهودية ، كانت تتناول المعارف جميعا . وكان هذا التوسع في الدراسة للاحاطة بالدين من جهة ، ولمقابلة الغنوصيين والوثنيين من جهة أخرى(٥) .

إن رئيس هذه المدرسة ومؤسسها هو **بانتان** ، الذي كان ، على ما يبدو ، من الرواقيين المرتدين الى المسيحية حوالي ٢٠٠ م ، ولم يبلغنا عنه سوى اسمه . **وكليمان** أول معلم وصلتنا عنه أخبار مفصلة وحفظت لنا منه كتب . ولد حوالي ١٥٠ م ، وتوفي حوالي ٢١٥ ، وقد ارتد الى المسيحية ، على ما يبدو ، في سن مبكر . وجال في شبابه أنحاء فلسطين وسوريا واليونان وايطاليا يتفرج على البلاد ويدرس على مشاهير المعلمين . وكان معجبا ببانتان ، ولذا فقد لزمه حتى أصبح معلما في المدرسة ، ثم مديرها بعد رحيل أستاذه الى الهند . وتقول لنا الروايات انه لم يترك الاسكندرية الا بعد أن صدر أمر امبراطوري باضطهاد المسيحيين ، فرحل الى آسيا الصغرى ، وعمل على نشر الدين في أرجائها وتوفي بها . ومن مؤلفاته كتاب « الهادي » وكتاب « المؤدب » وكتاب « المعلم » . وقد كان يعتقد أن المعرفة الحقيقية إنما هي معرفة الانسان لنفسه ، إذ على طريقها يعرف الانسان الله الذي خلقه ، وعلى طريق معرفة الانسان لله يكتشف أنه مشابه له أكثر فأكثر . فالمسيحية غنية ، بل هي الوحدة الغنية ، لانها تملك خزائن النفس . ومع أن كليمان كان يجهل أرسطو مباشرة ، فقد استمد تعاليمه من الافلاطونية ، ومن الرواقية أحيانا .

وبعد وفاة كليمان ، خلفه **اوريجين** في ادارة المدرسة . ولد حوالي عام ١٨٤ م ، في الاسكندرية ، من أب مرتد الى المسيحية . تتلمذ بادىء ذي بدىء ، على يد كليمان ، ودرس الفلسفة على يد أمونيوس سكاس ، معلم أفلوطين وأحد مؤسسي الافلاطونية الجديدة . سافر الى روما عام ٢٢١ ، والى اليونان عام ٢٣٠ ، وخلال هذه الرحلة الاخيرة أصبح كاهنا . وبعد ذلك استقدمه الوالي الروماني ليتعلم منه المسيحية فلبى الطلب . ولما عاد الى الاسكندرية وجدها في

Scanned by CamScanner

محنه شديدة من الاضطهاد ، فقصد الى فلسطين ، حيث قام بشرح الكتب المقدسة ، يطلب من اسقف أورشليم واسقف قيصرية . ثم رجع الى الاسكندرية ، ولكن اسقفها ، بتأييد من أسقفين آخرين ، حظّر عليه التعليم لانحرافه عن العقيدة المسيحية بتأثير من الافلوطينية . وهذا ما أرغمه للعودة الى فلسطين حيث اعتقل عام ٢٥٠ م ، وعذّب عذابا أليما ، توفي على أثره عام ٢٥٣ م . ومن أشهر مؤلفاته كتاب « المبادىء » وكتاب « الرد على كلس » وكتاب « المقال الحق »[٦] .

وقد كتب رابوبرت قائلا : « إن جداول المدنية والعلم الثلاثة ، وهي : اليونانية والسامية والرومانية ، كانت قد تقابلت في الاسكندرية وامتزجت وتكون منها مجرى واحد جديد ، ثم عاد ذلك المجرى فتفرع الى ثلاثة جداول سارت في سبل متفرقة لتمنح العالم خصبا ، وهي النصرانية اليونانية والنصرانية الرومانية والعربية ، ويزاد عليها ما يُعدّ كرافد لها وهو اليهودية ، واستمرت هذه الجداول تفيض بهدوء مدة قرون من غير أن تتقابل ، وكانت مراكزها العقلية على الترتيب : القسطنطينية ، وباريس ، وبغداد ، ومدارس الاندلس ، وقد تقابلت هذه الجداول في بلاط فردريك الثاني ، وظهر من اجتماعها مدنية وثنية تكونت من امتزاج هذه المدنيات الثلاث بعضها ببعض . وابتدأت روح الثورة والاستقلال تظهر في ذلك الحين ، ولكنها كانت قبل أوانها . فالكنيسة كان لها السلطان الاكبر ، وكانت العقول لا تزال تخضع للدين خضوعا تاما ، فكانت النتيجة أن تحولت هذه الحركة الى التيار الديني ثانية ، حتى أتت سنة ١٤٥٣ م فكملت النهضة ووصلت بعد السير البطيء المستمر الى الذروة . وقدر للجداول الثلاثة التي تفرعت في أرض مصر الخصبة أن تتقابل ثانية في رياض الاسرة الميدسية[٧] في فلورنسا . ولكن مضى عليها عدة قرون من يوم أن فارقت مدينة النيل (الاسكندرية) وهي تسير في ثلاث شعب متوازية الى أن صبت مياهها الزاخرة كلها في مدينة نهر الارنو (فلورنسا) مركز النهضة ، فهناك تقابلت الروح الغربية والبيزنطية والمدنيات اللاتينية النصرانية ، وسال بها الوادي فغاض على أوروبا بأجمعها[٨] » .

Scanned by CamScanner

٢ ـ الفكر السريانـي

كان الفرس في الغالب هم وساطة الاتصال التجاري بين الهند والصين من جهة ، وبوزنطة من جهة أخرى . وكذلك كان السريان وساطة في نقل الثقافة الى أقصى الغرب حتى بلغوا بها فرنسا ، فهم الذين كانوا يجلبون الخمور والحرير وغيرهما الى الغرب ، وكانوا ، فوق هذا ، هم الذين أخذوا الثقافة اليونانية من الاسكندرية وأنطاكية ونشروها في الشرق وحملوها الى مدارس الرها ونصيبين وحران وجنديسابور(٩) .

كتب رينان يقول : « **إن السلسلة متصلة الحلقات من المدرسة الاسكندرانية حتى السريان ، ومن السريان الى العرب ومن العرب الى مسيحيي القرون الوسطى(١٠)** » .

وقد أكد لنا الفارابي ، من خلال نص حفظه لنا ابن ابي أصيبعه ، أن تاريخ المدرسة المشائية الأرسطية بدأ من اثينا ، ثم انتقل مركزها الى الاسكندرية ، ومنها الى روما والى أنطاكية ، ومن انطاكية انتقل الى بغداد(١١) .

وعن دور السريان بنقل الفكر اليوناني الى العرب مباشرة والى الغرب بشكل غير مباشر ، يقول جاك شنعالية : « وبفضل مسيحيي سوريا اتصل العرب بالفكر اليوناني ، وبسبب تعبير غريب في الأشياء ، في القرن الثاني عشر الميلادي ، تلقى مسيحيو الغرب من العرب مؤلفات أرسطو ، وفي الوقت نفسه ، عددا لا يستهان بـه من كتب اليونان العلمية والفلسفية التي كان مسيحيو سوريا ، من النساطرة واليعاقبة والكاثوليك ، قد عثروا عليها في بلادهم ، مع التقاليد الهيلينية التي حملتها فتوحات الاسكندر ، والتي كانوا قد ترجموها الى اللغة السريانية ، ومن السريانية الى العربية ، بطلب من خلفاء بغداد في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين(١٢) » .

Scanned by CamScanner

وهكذا فقد قام المسيحيون من السريان بدور يشبه الدور الذي قام به اليهود في الاندلس عندما ترجموا الى اللغة العبرية كثيرا من كتب اليونان والعرب الفلسفية . وكانت هذه التراجم سببا في حفظ كثير من مؤلفات العرب التي ضاعت أصولها . وعلى هذه التراجم بالذات اعتمد المسيحيون بعد ذلك في معرفة التراث العربي واليوناني والاستفادة منهما(١٣)

8 س 3

Scanned by CamScanner

٣ ـ النصرانية

إنقسمت النصرانية في ذلك العهد الى ثلاث فرق كبرى ، بصرف النظر عن الفرق الصغيرة الكثيرة ، فكانت **الكنيسة اليعقوبية** والى جانبها **الكنيسة الملكانية الرسمية** متغلبة في سوريا ومنتشرة في غسان وبين سائر قبائل الشام • **وكانت الكنيسة النسطورية** مسيطرة في فارس والحيرة ، كذلك كانت هناك صوامع في وادي القرى •

وأهم موطن للنصرانية في جزيرة العرب كان نجران ، وكانت مدينة خصبة عامرة بالسكان ، تزرع وتصنع الانسجة الحريرية ، وتتاجر في الجلود وفي صنع الاسلحة • وكانت قريبة من الطريق التجاري الذي يمتد الى الحيرة • وكان نصارى نجران على مذهب اليعاقبة ، وهذا يعلل اتصالهم بالحبشة ، (لانهم كانوا يعاقبة أيضا) أكثر من اتصالهم بالرومان •

واشتهر بين العرب من رؤساء نجران قبل الاسلام قس بن ساعدة ، ويذكر أدباء العرب أنه كان أسقف نجران • وقد أوقع ذونواس اليهودي بأهل نجران وقتلهم ، فاستنجد النصارى بالحبشة فأنجدوهم ، وغزوا بلاد العرب سنة ٥٢٢ م ثم سنة ٥٢٥ م وهزموا ذانواس ، وأنشأوا مستعمرة حبشية على شاطىء البحر الاحمر ، وحكموا تهامة واستمر حكمهم الى سنة ٥٧٥ م حيث غزا الفرس بلاد اليمن واحتلوها وطردوا الحبشة منها ، واستمرت النصرانية في نجران الى عهد عمر فأجلاهم عنها وذهب أكثرهم الى العراق •

كان الخلاف على طبيعة المسيح مبدأ مناقشات تناولتها الشيع الكنسية في القرون الاولى • وكان للفوارق المذهبية بين هذه الطوائف أكبر الاثر في النظر في المعقولات ، وفي التأمل الفلسفي ، وهذا ما أثر الى حد كبير في تطور علم الكلام في الاسلام •

Scanned by CamScanner

كان النساطرة على اعتقاد كامل من أن نظراءهم بعيدون عن حكم العقل والضرورات الطبيعية ، لذلك جمعوا شملهم بعد عامين من مؤتمر إفسوس ، على الرغم من مطاردتهم والاستبداد بهم ، ونزلوا مصر واتخذوها مقرا لبث تعاليمهم .

كان اتباع الكنيسة اليعقوبية يرون أن اللاهوتية والناسوتية تؤلفان طبيعة واحدة هي المسيح ، على حين يميز الملكانيون في المسيح بين طبيعتين : الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية ، وكان النسطوريون أشد صرامة من الملكانيين في هذا التمييز . ولما كانت الطبيعة ، في حقيقة أمرها ، هي مبدأ الفعل صار موطن النزاع هو : هل ما لله من ارادة وفعل وما للانسان من ارادة وفعل يتحدان في المسيح أم هما متمايزان ؟ فأما اليعاقبة فانهم لاسباب دينية واسباب مرجعها إلى النظر العقلي ، رجحوا القول بالوحدة في المسيح ، متحيفين من شأن العنصر الناسوتي ، وأما النسطوريون فانهم ذهبوا يثبتون للمسيح خصائص الانسان في الوجود والارادة والفعل مميزين بين ذلك وبين ما للعنصر اللاهوتي . وفي المذهب النسطوري ، الذي ساعدته ظروف سياسية وأحوال ثقافية ، مجال واسع للنظر الفلسفي في الكون والحياة . والحق أن النسطوريين بذلوا أكبر جهد في دراسة علوم اليونان ، لاقامة أدلة فلسفية تؤيد صحة معتقداتهم الدينية .

ترجم النساطرة كتب زعمائهم ، وعلى الاخص كتب « تيودوروس المصيصي » الى السريانية ليستعينوا بها على بث أفكارهم . كما أنهم ترجموا كثيرا من كتب أرسطو ، لانهم وجدوا فيها ما يساعدهم على فهم لاهوتهم لنشره على غيرهم من الامم . لكن هذه التراجم اتخذت ذريعة لبث مذهب النساطرة الديني ، والطعن في قياصره الروم ، والكنيسة الرومانية ، وهذا ما قلّل من قيمتها العلمية .

والظن الغالب على كثير من المؤرخين أن الكنيسة المصرية قد تبعت القائلين بالطبيعة الواحدة . ففي القرن السادس قام يعقوب السروجي وأنشأ شيعة اليعاقبة، وهو الذي كوّن الكنيسة اليعقوبية المصرية وجمع شمل أعضائها وأقام أسسها ، وأكبر دليل على ذلك أن اسم أقباط مشتق من يعاقبة . فان اسم هؤلاء في العالم اللاتيني « جاكوبيت » . وأقباط أقرب الاشياء تحريفا اليه .

Scanned by CamScanner

أضهدت امبراطورية بيزنطة الشيعة اليعقوبية . وقد اتبع اليعاقبة نفس الطريقة التي اتبعها النساطرة في ترك لغة نظرائهم في الدين ، وعمدوا الى استعمال اللغة القبطية واللغة السريانية . والحق أن عصر اللغة السريانية الذهبي ، لا يبدأ الا برجوع اليعاقبة عن استعمال اللغة اللاتينية ، الى اللغة السريانية . والحقيقة أن هنالك فاصلا حقيقيا بين اللغة السريانية كما استعملها اليعاقبة في الغرب ، والنساطرة في الشرق . وهذا الفاصل يعود — على ما يبدو — لانتحال اليعاقبة للهجات الحديثة .

وبعد أن انفصل النساطرة واليعاقبة عن لغتهم الاصلية اللاتينية ، نقلوا كثيرا من الكتب المسيحية الى اللغة السريانية ، فاصبح في هذه اللغة مجموعة كبيرة من المؤلفات الفلسفية والعلمية والدينية . على أن السبب في أنه لم ينقل الى اللغة القبطية من المؤلفات بقدر ما نقل الى اللغة السريانية ، أن اليعاقبة في مصر لم تدعهم الحالات الى مواجهة مسائل معضلة في الدين ، كما كان النساطرة في آسيا .

كان العصر الواقع بين بدء المجادلات الدينية في الكنيسة المسيحية وظهور الرغبة من المسلمين في درس الفلسفة ، عصر ترجمة وانتاج ذهني ، علق خلاله على كثير من مسائل الفلسفة والطب والكيمياء والفلك ، وعرضت فيه طائفة كبيرة من افكار اليونان ومذاهبهم .

كانت المباحث الطبية أكثر ذيوعا في مدرسة الاسكندرية منها في أية مدرسة أخرى . أما الفلسفة بمعناها الحقيقي ، فكانت مرتبطة باللاهوت مباشرة . ومن أوائل الذين درّسوا الطب في مدرسة الاسكندرية ومن متأخري الذين علقوا على فلسفة أرسطو كان « يوحنا فيلوبونس » أو يوحنا النحوي ، كما يدعوه العرب خطأ . وقد انتخب أعلام المدرسة ست عشرة مقالة من مقالات جالينوس وترجموها ليرسموا منها برنامجا ، لعله الاول من نوعه في تاريخ الدرس والتحصيل ، لتدريس الطب ، يدرسه كل من أراد ان يزاول تلك الصناعة عمليا . وبالفعل أصبحت مدرسة الاسكندرية منبعا للكثير من الابحاث المبتكرة المحققة النفع ، لا في مجال الطب وحده ، بل في علم الكيمياء ، وكثير من العلوم الطبيعية . وما أشبه مدرسة الاسكندرية قبيل الفتح العربي بخلية تدوي بمختلف البحوث العلمية .

11س 3

Scanned by CamScanner

وبينما كانت مدرسة الاسكندرية غارقة في المباحث الطبية ، كانت كنائس آسيا ومدارسها ممعنة في المباحث المنطقية والفلسفية التأملية . لقد اعتمد النساطرة واليعاقبة على مختصر « فرفوريوس الصوري » في المنطق المسمى « إيساغوجي » وأخذوه كمدخل لعلم المنطق . وما يزال هذا الكتاب يقرأ في الأزهر حتى اليوم كمدخل لذلك العلم .

أما في الميتافيزيقا والبسيكولوجيا والاستعانة بهما على فهم المسائل اللاهوتية ، فقد كان ميل اليعاقبة الى الافلاطونية الجديدة ، والباطنية ، أقوى من ميل النساطرة ، كما كانت تعاليمهم وحياتهم أكثر استكانة في الاديرة . رغم بناء النساطرة للاديرة واتخاذها مراكز للعلم والفلسفة ، فقد نزعوا بشكل خاص الى الطريقة القديمة في بناء المدارس . هذا ونجد أن نظام المدارس قد انقلب في آخر الامر الى نظام الرهبنة .

12 س 3

Scanned by CamScanner

٤ ـ مدرسة انطاكية

(ANTIOCHE)

يقول ابن النديم ، في كتاب الفهرست ، ان « مجلس التعليم انتقل من الاسكندرية الى انطاكية ، ومن انطاكية الى حرّان معقل اليونانية في بلاد يتكلم اهلها السريانية . ومن حرّان انتقل الاساتذة الى بغداد في خلافة المعتضد عم المتوكل ، ومن هؤلاء ثابت بن قرّة ، وقسطا بن لوقا . وقد اشتهر من الاساتذة في بغداد قويري أستاذ أبي بشر متى ، وحنا بن حيلان أستاذ الفارابي ، وأبو بشر متى الذي انتهت اليه رئاسة المنطقيين في عصره » .

وهكذا فان مدرسة انطاكية ، خلفت ، عام ٢٧٠ م ، مدرسة الاسكندرية ، وضمت عددا كبيرا من الطلاب ، وكانت تعلمهم الخطابة والفلسفة الافلاطونية . ولئن كان لمدرسة انطاكية الاثر العميق في توجيه الفكر السرياني ونشر الفلسفة اليونانية بين سكان سوريا ، فان لغتها ظلت اليونانية ولم يكن للغة البلاد فيها من نصيب ، هذا مع أن السريانية كانت في ذلك الحين قد أصبحت لغة الكنيستين الشرقية والغربية[١٥] .

اشتهرت انطاكية بأنها من أولى المدن المسيحية التي قام زعماء الدين فيها بأول حركة من تلك الحركات الفكرية التي كانت ذات أثر كبير في شيوع الفلسفة ، وفروع الفلسفة اليونانية خاصة . وقام بالحركة في انطاكية معلمان يقال لأحدهما « ديودوروس » ، والآخر « تيودوروس المصيصي » ، وكانا شديدي الاعتقاد في كمال الناسوتية[١٦] في المسيح .

وكان أكبر المؤيدين لهذا المذهب راهب من رهبان انطاكية يقال له

Scanned by CamScanner

« نسطوريوس » الذي أصبح أسقفا للقسطنطينية عـام ٤٢٨ • وتبع تأيـد نسطوريوس لفكرة الناسوتية في المسيح مناقشات حادة ، حتى انتهى الأمر بعقد مجلس ديني في مدينة « إفسوس » سنة ٤٣١ م • فانتصر حزب الاسكندرية ، وهـو الحزب القائل بما يضـاد المذهب النسطوري ، واعتبـر نسطوريوس وأتباعـه هراطقـة •

14س3

Scanned by CamScanner

٥ ـ مدرسة الرها ونصيبين (١٧)

كانت السريانية لغة الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية ، وكانت اللغة اليونانية تدرس الى جانب السريانية في الاديرة • ومن الجدير بالذكر أن رأس العين وقنسرين كانتا مركزين للثقافة في الكنيسة العربية اليعقوبية ، على أن مدرسة الرها كانت أهم من ذلك في أول الامر على الاقل ، لان لهجة الرها بلغت من الرقي درجة تجعلها صالحة لان تكون لغة يكتب بها ، ولكن هذه المدرسة أغلقت في عام ٤٨٩ م لان معلميها كانوا نسطوريين في آرائهم • ثم فتحت ثانية في نصيبين ، وقد نالت تأييد الساسانيين إذ ذاك لاسباب سياسية ، فنشرت العقائد النسطورية والمعارف اليونانية في بلاد فارس • وقد أسس مار(١٨) أبها ، وهو زردشتي تنصّر وأصبح أسقفا نسطوريا ، مدرسة في سلوقية على نظام مدرسة نصيبين •

كان تعليم هذه المدارس في جلّ أمره ، تعليما دينيا يتصل بالنصوص المقدسة لتلبية حاجات الكنيسة ، وكان الاطباء وطلاب الطب يأخذون بحظ منه • كان الاطباء يعالجون الابدان ، لهذا اقتصرت اهتماماتهم على مؤلفات بقراط وجالينوس وأرسطو • أما رجال الدين ، فكانوا يعتبرون أطباء يداوون الارواح ، لهذا عاشوا في الاديرة حياة تأملية فلسفية لا يهتمون الا بما هو ضروري لهم •

15س 3

Scanned by CamScanner

٦ ـ مدرسة جنديسابور

وقبيل الفتح الاسلامي ، جاء كسرى أنو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٠) ، فأسس في فارس ، في جنديسابور من أعمال خوزستان ، معهدا للدراسات الفلسفية والطبية ، وكان معظم أساتذته من المسيحيين النسطوريين • على أن كسرى كان له شغف بالثقافة العقلية ، فشمل تسامحه كلا من النسطوريين واليعقوبيين ، وصار المسيحيون السريان أطباء ، فنالوا الحظوة التي نالوها في قصور الخلفاء فيما بعد .

وعندما أخرج من أثينا سبعة من فلاسفة المذهب الافلاطوني الجديد ، آواهم كسرى في قصره عام ٥٢٩ م ، فأكرم وفادتهم وكلفهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب وألفوا فيهما كتبا فطالعها هو ورغب الناس فيها • على أن في هذه الرواية شكا كبيرا • إذ كيف ينقل الفلاسفة اليونان الوثنيون الذين لا احتكاك لهم بالفارسية ، وعلى الاخص الفهلوية ، كتب الطب والمنطق الى لغة فارس ، في حين أن الراجح أن لا يكون لهم إلمام إلا بلغتهم اليونانية القديمة ؟ ..

ومما يدل على اهتمام « أنو شروان » بأولئك السبعة الذين وفدوا عليه ، أنه وضع في المعاهدة التي عقدها والامبراطورية البيزنطية ، نصا خاصا بهم لضمان حريتهم المدنية والدينية ، وعدم الاستبداد بهم فيما لو أرادوا العودة الى وطنهم .

وكان أساس التعليم ، في مدرسة جنديسابور الزرداشتية ، غير مقصور على المؤلفات اليونانية والسريانية ، بل أضيف الى ذلك تعاليم في فلسفة الهند وآدابها وعلومها ، ترجمت الى اللغة الفهلوية ، وهي اللغة الفارسية القديمة • وهنالك نمت علوم الطب حين تخلصت من جو الضغط والاستبداد الذي حوطتها به التعاليم

16 س 3
Scanned by CamScanner

اللاهوتية • ومن عجيب الامر أن يكون من أشهر الذين علموا الطب في ثوبه الجنديسابوري الحديث ، فئة من أشهر النساطرة المسيحيين •

ومن الـذين اشتهروا من العرب قبل الاسلام في مـدرسة « جنديسابور » الحارث بن كلدة الذي عرف من بعد طبيبا ، وابنه النضر الذي تعلّم الطب على أبيه واطلع على علوم الفلاسفة وأجزاء الحكمة •

17 س 3

وكان يوحنا بن ماسويه (ت ٨٥٧) وهو تلميذ جبرائيل بن بختيشوع ومعلم حنين الشهير أوا بارز للمؤلفات اليونانية العربية وأول رئيس ببغداد (بيت الحكمة) التي انشأها المأمون

ص ٦ تاريخ الفلسفة الاسلامية تأليف :

Scanned by CamScanner

٧ ـ مدرسة حران (٢٠)

وفضلا عن المدارس المسيحية والمدرسة الزرداشتية ، وجدت مدرسة وثنية في « حرّان » في الجزيرة بالقرب من مدينة الرّها ، لكن لا نعلم كيف نشأت وكيف تطورت ، ولا من أسسها ! كانت حرّان مركزا للتأثير الاغريقي منذ عصر الاسكندر المقدوني الاكبر ، وظلت موئلا لتعاليم الديانة اليونانية القديمة ، بعد أن انقلب العالم اليوناني الوثني الى عالم نصراني . والظاهر أن حرّان قد ورثت كثيرا من تعاليم الديانة البابلية القديمة التي كانت قد انتعشت في القرون الاولى من انتشار المسيحية . ومما لا ريب فيه أن حالات الفكر في « حرّان » تمثل آخر أدوار الوثنية اليونانية والافلاطونية الجديدة كما وضعها « فرفوريوس الصوري » حيث ظلتا عائشتين عيشة بعيدة عن معترك العالم الخارج عن حيزهما .

وعلى الرغم من المدارس التي علّمت على النسق اليوناني، وأذاعت مواد الثقافة اليونانية ، فقد اقترنت التعاليم بكثير من المؤثرات التي لا يمكن لمؤرخ في تاريخ الفكر أن يغفل أمرها . فان الجنود الفارسية عندما رجعت من غزو سورية نقلت معها كثيرا من آثار الفكر اليوناني التي لا مجال لحصرها .

إذن فتاريخ القرون التي تقدمت انتشار الاسلام تدل على ذيوع قسط عظيم من التأثير اليوناني في كثير من فروع الفن والعلم والفلسفة والهندسة والبناء ، وفي زخارف الحياة ذاتها . ومن قبل ذلك ، منذ عصر الاسكندر المقدوني ، كان غربي آسيا لا يتنفس الا في جو مفعم بآثار الفكر الاغريقي .

Scanned by CamScanner

٨ ـ الفلسفة عند السريان

لم يكن عند السريان فلاسفة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، هذا مع أن عدد الذين عنوا بالفلسفة منهم كان كبيرا • وقد أجمع الذين درسوا تاريخ الفكر السرياني على أن النشاط الفلسفي عند السريان بدأ بالترجمات وانتهى الى الشروح والتفاسير والتعاليق[٣١] •

لقد عنى السريان الى جانب قليل من كتب الرياضيات والطبيعيات والطب بأمرين :

فمنوا ، أولا ، بالحكمة الفيثاغورية الافلاطونية التي تنزع إلى التصوف•وكان « محور أبحاثهم نظرية لأفلاطون في النفس تناولوها بما يتفق مع الفلسفة الفيثاغورية أو الافلاطونية الجديدة ، أو بما يتفق مع المسيحية ، بل اننا لنجد السريان في أديرتهم يمثلون أفلاطون في صورة راهب شرقي اتبذ لنفسه صومعة في قلب البرية بعيدا عن مساكن البشر ، وبعد أن لبث ثلاث سنين صامتا يتفكر في آية من الكتاب المقدس انتهى به تأمله الى الاعتقاد بالتثلث » • أما الامر الثاني الذي عني به السريان فهو منطق أرسطو ، وعرفوا منه ، المقولات ، وكتاب العبارة ، وأشكال القياس الحملية من كتاب القياس • ومع أن المنطق ساعد السريان على تفهم اللاهوت الطبيعي عند فلاسفة اليونان ، فانهم لم يعرفوا المنطق كله ، وكذلك لم يعرفوم خلصا ، لانه وصل اليهم على طريق مصنفات المذهب الافلاطوني الجديد[٣٣] •

وقد اعتقد السريان أن أساس العلوم الانسانية هو منطق أرسطو ، وما بقي من كتبه فيجب أن يفسر على قواعد الافلاطونية الجديدة ومن علق عليها • وقد حذفوا كثيرا من كتب الاخلاق وما بعد الطبيعة ، وأحلّوا عناصر مسيحية محل

19 س3

Scanned by CamScanner

ما هو وثني ، وحل الإله الواحد محل الآلهة ، ثم نرى أفكارا كفكرة العالم او الخلود أو الخطيئة تصطبغ بالصبغة المسيحية .

وصفوة الكلام **ان العلوم في الاسلام لم تغرس إلا في ارض شبعت من قبل بالثقافة اليونانية على اختلاف ضروبها وتباين الوانها** . وقد انتقلت الثقافة اليونانية الى العرب بوساطة خمسة مصادر ، وهي :

١ ـ **النساطرة** ، الذين كانوا أول من علّم المسلمين وأول الذين خدموا الطب في العصور الاولى .

٢ ـ **اليعاقبة** ، الذين كانوا أول من أدخل الباطنية والافلاطونية الجديدة في الجو العربي .

٣ ـ **الزرداشتيون في فارس** ، وعلى الاخص مدرسة جنديسابور ، هذا مع أن هذه المدرسة قد امتزجت بعنصر قوي من عناصر النسطورية ، لانها وجّهت من قبلهم .

٤ ـ **وثنيّو حرّان** ، ولو أن أثرهم ، في الاسلام ، لم يأت الا مؤخرا .

٥ ـ **العبرانيون** ، هذا مع أنهم لم يكونوا على صلة بالفلسفة الارسطية ، وظلت مدارسهم في صور عاكفة على درس شرائعهم التقليدية .

لم يبدأ العبرانيون ، في درس الفلسفة ، الا في العصور المتأخرة ، وقد تأثروا كثيرا بفلاسفة العرب . غير أنهم ورثوا عن النساطرة نزعة الى علم الطب ، حتى ان الاطباء اليهود قد ظهروا في أوائل عمارية بغداد . فمن بين الاطباء الذين يذكرهم العلامة « Leclerq » ، في كتابه تاريخ الطب عند العرب « **Histoire de la médecine arabe** » ، في القرن العاشر الميلادي، ٢٩ طبيبا مسيحيا وثلاثة من اليهود وأربعة من وثنيّ حرّان . في حين أن النسبة اختلفت في القرن الحادي عشر ، فكانوا ثلاثة مسيحيين وسبعة من اليهود ، ومن ثم تكاثر الاطباء الاسلام من بعد ذلك كثرة لا تحفظ فيها النسبة بينهم وبين غيرهم[٢٣] .

20 س 3 ـ

Scanned by CamScanner

المراجع والحواشي الخاصة بالمدارس الفلسفية

(١) Cf. Etienne Gilson, «La philosophie au Moyen-Age», éditions Payot, Paris, 1962, p. 45.

(٢) راجع ، ا.س . رابوبرت ، « مبادىء الفلسفة » ، ترجمة ، احمد امين ، الطبعة الخامسة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩ ، ص ١١١ – ١١٢

(٣) المصدر السابق ، ص ، ١١٢ – ١١٣

(٤) راجع : بلدوين ، «معجم الفلسفة»، ترجمة احمد امين ،المصدر السابق،ص١١٤

(٥) راجع : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٢٦٩ ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٦٩ .
راجع كذلك :
Etienne Gilson, op. cit, p.45.

(٦) راجع المصادر السابقة ، يوسف كرم ، ص ٢٦٩ – ٢٨٤ ، جيلسون ، ص ٤٥ – ٥٩

(٧) وهي اسرة من فلورنسا (بايطاليا) تقلدت زمام الاحكام في فلورنسا في القرن الخامس عشر لما حازته من الغنى بوساطة التجارة .

(٨) راجع ، ا.س . رابوبرت ، المصدر المذكور ، ص ١٢١ – ١٢٣ .

(٩) راجع ، دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ١٥

(١٠) Cf. Renan (E.), «De philosophia peripatetica, apud syros, p. 9, Lettre à Reynaud (Journal asiatique, 111), Paris, 1852.

(١١) راجع ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص ١٣٥ ، راجع ما قلناه عن هذا الموضوع ، الفارابي ، ص ٨٣ – ٨٥

(١٢) Cf. Jacques Chevalier, « Histoire de la pensée », t. 2, « La pensée chrétienne», p. 258, paragraphe 2, éditions Flammarion, Paris, 1956.

21س 3

Scanned by CamScanner

(١٢) راجع ، دي بور ، المصدر المذكور ، ص ١٥

(١٣) اخذنا هذا الموضوع من كتاب اسماعيل مظهر ، تاريخ الفكر العربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ٩ ــ ١٨ . راجع كذلك ، احمد امين ، فجر الاسلام ، الطبعة التاسعة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥ ــ ٢٩

(١٥) راجع ، الفاخوري والجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، مؤسسة بدران وشركاه ، بيروت ، لبنان ، ص ٣٢٦ ــ ٣٢٧

(١٦) الناسوتية : (الناس) بزيادة «و» و «ت» على آخر الكلمة وهي سريانية كملكوت . راجع ، اسماعيل مظهر ، تاريخ الفكر العربي ، المصدر المذكور ، ص

(١٧) اخذنا هذه الفقرة من كتاب دي بور ، المصدر المذكور ، ص ١٦ ــ ١٧

(١٨) مار كلمة سريانية تعني السيد

(١٩) راجع اسماعيل مظهر ، المصدر المذكور ، ص ١٨ ، راجع كذلك ، دي بور . المصدر المذكور ، ص ١٨ ، راجع اخيرا ، الفاخوري والجر ، المصدر المذكور ، ص ٣٢٨

(٢٠) راجع المصادر السابقة

(٢١) الفاخوري والجر ، المصدر المذكور ، ص ٣٢٩

(٢٢) راجع ، دي بور ، المصدر المذكور ، ص ٢٠ ــ ٢١

(٢٣) راجع اسماعيل مظهر ، المصدر المذكور ، ص ٣٥ ــ ٣٦

22 س3

Scanned by CamScanner